بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة النجاح الوطنية– كلية الهندسة

قسم الهندسة المعمارية

دراسة بعنوان:

"الخصائص المعمارية للخانات الاسلامية"

حالة دراسية: خان الوكالة في مدينة نابلس

إعداد:

أ. محمد علام فوزي عتمة

نابلس– جوال:٠٥٩٩٦٤٥٢٣١

التاريخ: ٢٠٠٨/٩/٧

"الخصائص المعمارية للخانات الاسلامية"

حالة دراسية: خان الوكالة في مدينة نابلس

إعداد: أ. محمد علام فوزي عتمة

الملخص

تناقش هذه الدراسة موضوع عمارة الخانات الاسلامية، وتلقي الضوء على عمارة مبنى خان الوكالة في مدينة نابلس كاحد النماذج الهامة لعمارة الخانات العثمانية في فلسطين. وتهدف الى جمع وتحليل المزيد من المعلومات عن خان الوكالة الذي لم يحظى بدراسة تاريخية شاملة، مع انه محط أنظار الفلسطينيين بسبب قيام بلدية نابلس (عام ٢٠٠٥ وحتى الآن) بترميمه لاستخدامه كمجمع تجاري. وقد تكون أي معلومة تتوصل إليها هذه الدراسة محل اهتمام القائمين على المشروع.

تقارن الدراسة العناصر الأصلية لخان الوكالة -قبل زلزال ١٩٢٧- مع مثيلاتها من الخانات الإسلامية، لفحص ما إذا كانت تلك العناصر تخضع لمقاييس بناء الخانات الإسلامية في الفترة العثمانية ام لا. وتخلص الدراسة إلى أن معظم عناصر مبنى خان الوكالة لا تطابق تلك المقاييس أهمها الفناء الداخلي غير المنتظم على عكس ما هو دارج في معظم الخانات الأخرى. بالاضافة الى ان خان الوكالة لا يحتوي على الاسوار والخدمات الموجودة في الخانات المبنية خارج المدن لذلك يمكن تصنيفه مع الخانات المبنية داخل المدن.

"Architectural characteristics of the Islamic caravanserais"

Case Study: Khanalwakalah in the city of Nablus

Prepared by

Mohammed A F Itma

Abstract

This study discusses the subject of Islamic Caravanserais, and shading lights on the Architectural aspects for "Khanalwakalah" building in Nablus, as one of the important Ottoman caravanserais in Palestine. It aims basically to collect and analyze information on "Khanalwakalah" building, which may raise the concern of institutions which are working on rehabilitating this building since 2005.

This study makes a comparison between the main architectural components of Khanalwakalah with those Islamic standards for building caravanserais so as to verify whether they are similar or not. The study concludes that the architectural characteristics of Khanalwakalah differs with those general standards of Islamic khans established in the ottoman period , spatially the shape of the courtyard which is irregular. also khanalwakalah belongs to the second type of caravanserais, which are built inside the cities.

فهرس المحتويات

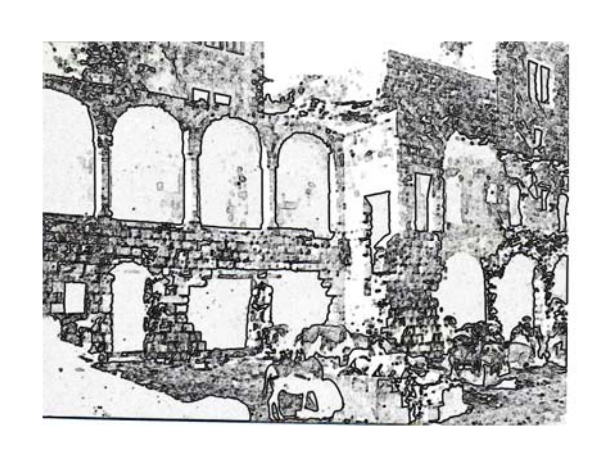
فهرس الاشكال

فهرس الجداول

مقدمة الدراسة:

ان في دراسة موضوع المباني التاريخية التي يتم ترميمها واعادة تاهيلها حاليا اهمية كبيرة على الساحة الفلسطينية، فعملية ترميم واعادة تاهيل المبنى التاريخي هي ليست مجرد اعمال بناء وانشاء عادية تهدف الى تقوية المبنى واصلاحة لملائمة الحياة اليومية فحسب، بل انها تتعدى ذلك بكثير لترتبط بالقيم الرمزية والمعنوية التي يحملها هذا المبنى، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على ذكريات وتاريخ شعب باكمله.

والحقيقة انه يحيط باي مبنى تاريخي العديد من التساؤلات التي تدور في اذهان المشاهدين، فبالحديث عن خان الوكالة مثلا نجد من الضروري القاء الضوء على اهمية ترميم مثل هذا النوع من المباني التاريخية قبل غيرها وحمايتها من الانقراض الذي بات محتما في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي تحيط بالمدن والقرى الفلسطينية.


شكل رقم(١-١): مبنى خان الوكالة بعد زلزال ١٩٢٧(الباحث)

لذلك تعتبر هذه الدراسة جزءا من الدراسات التي كان يجب اجرائها حول مبنى خان الوكالة قبل البدء بترميمه، لان عملية الحفاظ على المبنى التاريخي عملية دقيقة وتحتاج الى دراسة مسبقة لتاريخ العمارة في المنطقة التي يشغلها المبنى والتاريخ الخاص بالمبنى نفسه، مما يعنى دراسة حركات وسكنات المبنى وجميع الاجراءات التي مورست عليه من يوم بناءه وحتى تاريخ أجراء الترميمات. هذا يشمل جمع كافة المعلومات الممكنة عن المبنى من حيث تاريخ انشاؤه، الوظائف التى استخدم من اجلها، المراحل التي بنى فيها.. الخ

تناولت بعض الدراسات الفلسطينية موضوع الخانات الاسلامية في فلسطين، منها دراسة الدكتور مروان ابو خلف عن الخانات في فلسطين والمنشورة في مجلة Levant الصادرة في مدينة القدس، والتي تطرق فيها بشيء من التفصيل الى التطور التاريخي لخان يونس في غزة. (Abu Khalaf, 1982, p178) كذلك تناولت بعض الدراسات غير المنشورة والتي يقوم بها طلاب البكالوريوس والماجستير في قسم العمارة في جامعة النجاح الوطنية بعض الامور المتعلقة بمبنى خان الوكالة كدراسة الإجراءات التي يقوم بها فريق الحفاظ على المبنى، ومقارنتها مع مبان اخرى تم ترميمها مثل قصر القاسم في بيت وزن–نابلس. كذلك تم البحث في سجلات المحكمة الشرعية عن أي معلومات قد تشير الى تاريخ بناء خان الوكالة وكانت النتيجة هي ترجيح الافتراض بان خان الوكالة قد بني في منتصف القرن الثاني عشر الهجري.(عاصي،٢٠٠٦،ص٣)

اما هذه الدراسة فتهدف بشكل اساسي الى زيادة المعرفة بالخصائص المعمارية لمبنى خان الوكالة والتي لم تتطرق لها دراسات سابقة حتى الان، من اجل العمل على ربط الانسان الفلسطيني بتاريخه وزيادة تمسكه بتراثة من خلال اثراء معلوماته بقيمة المباني التي يتم ترميمها في مدينة نابلس، وخاصة مبنى خان الوكالة الذي تم المباشرة بترميمه واعادة تاهيله عام ٢٠٠٥ وما زال المشروع مستمرا حتى تاريخ اعداد هذه الدراسة. ذلك وان هذا المشروع لم يحظ –من وجهة نظر الباحث– بدراسات كافية حول تاريخ هذا المبنى الهام وخصائصه المعمارية، فالكثير من المعلومات التي تتعلق بتاريخه، مراحل انشائه، اهميته التاريخية ما زالت مبهمة حتى الان.

و بما ان المعلومات المطلوب جمعها عن هذا المبنى التاريخي –كحال أي مبنى تاريخي اخر– تحتاج الى عمل دؤوب يقوم به فريق متكامل مكون من اثريين، مؤرخين، ومعماريين.. فلذلك يكتفي الباحث في هذه الدراسة بالقاء الضوء على العناصر المكونة لخان الوكالة وبيان مدى

تشابهها او اختلافها مع العناصر العامة لتصميم الخانات الاسلامية بانواعها، للخروج في النهاية بنتائج الدراسة.

منهجية الدراسة:

يتبع الباحث في الجزء الاول من هذه الدراسة المنهج التاريخي في دراسة وتحليل اشكال وعناصر الخانات الاسلامية، من خلال عمل مسح على المراجع الانجليزية والعربية المتوفرة، وكذلك تصفح الكثير من المواقع الالكترونية العربية والاجنبية للمؤسسات العالمية ومواقع الشركات والمجلات واالصحف التي تهتم بنفس الموضوع، من اجل الحصول على فكرة عن الخصائص المعمارية للخانات الاسلامية وتدوين الملاحظات التي تخدم اهداف الدراسة. كذلك يتبع الباحث في الجزء الثاني من هذه الدراسة المنهج الاستدلالي بالمقارنة ما بين عناصر وفراغات خان الوكالة الاصلية حسب تصور بلدية نابلس للخان قبل زلزال ١٩٩٧، وما بين العناصر والفراغات القياسية لبناء الخانات الاسلامية، للوصول الى نتائج الدراسة.

محاور الدراسة:

فيما يلي يعمل الباحث على تناول هذه الدراسة من محورين اساسيين: المحور الاول هو الخانات الاسلامية، اشكالها، عناصرها الاساسية، تصنيفاتها وانواعها. اما المحور الثاني فيتناول الخصائص المعمارية لخان الوكالة في مدينة نابلس ويحلل فراغاته وعناصره المعمارية بالمقارنة مع المقاييس العامة لبناء وتصميم الخانات الاسلامية والتي تناولها الباحث في المحور الاول.

١. الخانات الاسلامية:

إن الإسلام الذي جاء ليلبي جميع حاجات الانسان الدنيوية والروحية على حد سواء انعكست قيمه على كافة مناحي حياة الانسان المسلم وتجسدت تلك القيم فيزيائيا على شكل عمارة اسلامية عظيمة تتصف بالشمولية من النواحي الوظيفية والجمالية، فظهرت عمارة المساجد، المدارس، القصور، الخانات، الماريستانات.. الخ. ومن ضمن التعاليم التي جاء بها الاسلام لينظم حياة الناس اليومية في المعاملات: تشجيع التجارة الحلال والنهى عن الربا، مما استدعى اهتمام المسلمين بالمباني التجارية المتمثلة بالاسواق، شق الطرق التجارية، وبناء الجسور لتسهيل رحلات التجار المسافرين، وكذلك بنيت الخانات لايوائهم هم وبهائمهم ليجدوا فيها الراحة والامان بعد طريق شاق وطويل. (Sims, 1978, p.80)

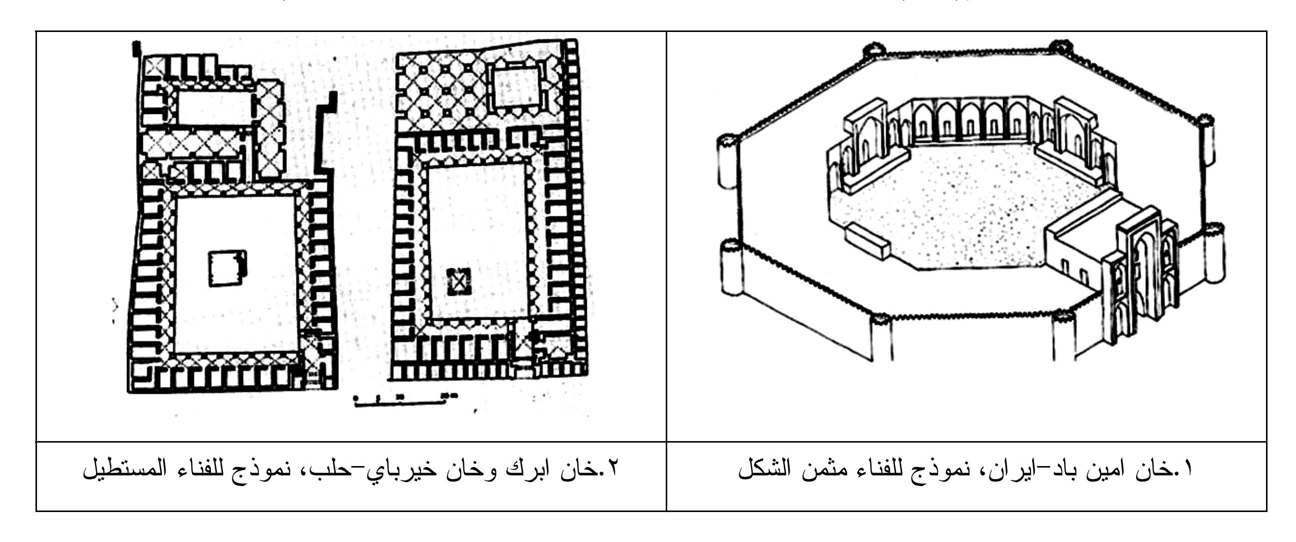
كلمة "خان" فارسيّة الأصل، أُطلِقت على مكان مبيت المُسافرين، وهي عند المصريين "وكالة"، بينما يطلق عليها البعض الآخر لفظ "القيسارية" أو "الفندق". جاءت هذه المسميات تعبيرًا عن وظيفة واحدة تقوم بها هذه المباني وهي أن تكون مأوى للتجار الأجانب والقوافل ومخزنا للبضائع والتجارة بالتجزئة والجملة، هذا بالإضافة إلى أن الخانات كانت مكانًا لعقد الصفقات التجارية، حيث يعرض تجار هذه القوافل بضاعتهم فى أفنية الخانات لممارسة البيع والشراء أو لتخزينها فى حواصل الخان تمهيدا لبيعها لتجار التجزئة فى الأسواق المتاخمة للخانات، أو اعادة تصديرها إلى بلدان أخرى. والخان به ايضا وحدات لسكن واعاشة التجار الغرباء الذين يبقون فيها لحين إنتهاء اعمالهم التجارية وبذلك تكون بمثابة مؤسسات تجارية كبيرة خاصة للسلع التجارية. (محمد، ١٩٩٣، ص٢٥)

١.١اشكال الخانات الاسلامية:

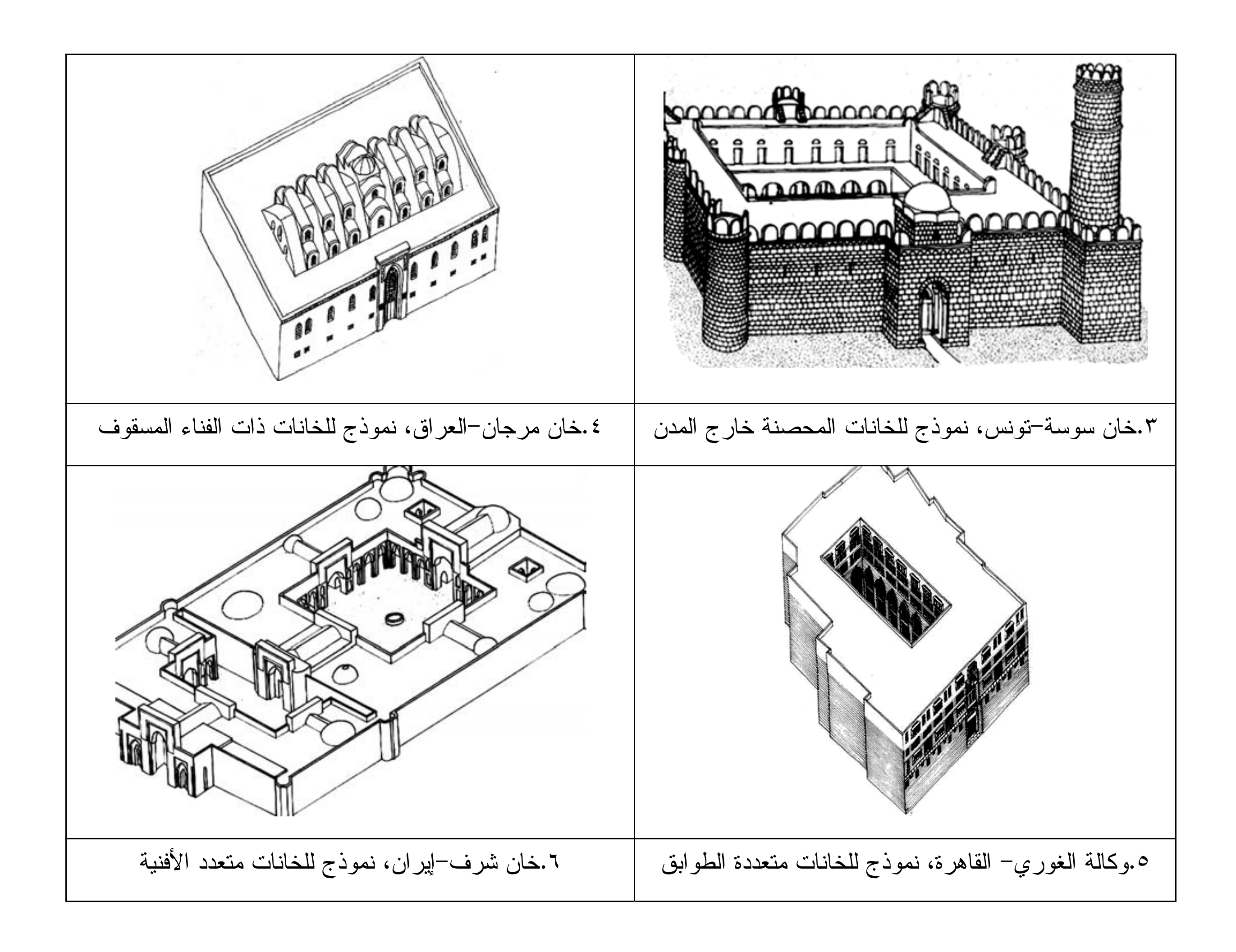
كان الخان مربع المسقط، إجمالا وغالبًا عدد طوابقه لا يتعدى الاثنين في بلاد الشام والعراق، بينما يصل الى خمسة طوابق في مصر. في اطراف الخان أبراج للمراقبة والدّفاع ويحيط به أحيانا سور خارجي مدعّم وبوابة مصفّحة ضخمة محكمة الإغلاق ليلاً، وكأنّه حصن صغير. وكانت غرف المسافرين موزّعة بين الطّبقتين أو في العليا فقط. وفي بعض الخانات المتواضعة، كانت قاعة النّوم مشتركةً يرقدُ فيها المسافرون، على منصّاتٍ مرتفعةٍ عن الأرض وكانوا يجلسون عليها نهارًا. (Sims, 1978, p.100)

من دراسة جدول رقم (١-١) يظهر أنّ خانات السّهول كانت أوسع من خانات الجبال. كما كانت خانات البلاد الباردة تخلو من الصّحن المكشوف. ولقد أخذت الخانات إجمالا، بعد انتشار الإسلام، تصميمين رئيسين: الأوّل إيراني بقَاعات متطاولة موازية للفناء المركزي. ولكنّ هذا التّصميم ما لبث أن أخذ شكل الأواوين. وقد احتلت البوابة في عمارته مركزًا على جانب كبير من الأهمّية. أما التصميم الثاني فهو بأربعة أضلاعٍ وفناء مركزي مربع او مستطيل منتظم الزوايا، واحيانا يكون الفناء مثمن الشكل تحيط به الأروقة، ويعُرف بالطراز البحر الأوسطي.

جدول رقم(١-١): الخانات بمختلف أشكالها. (Hillenbrand, 1994, p.80-371)



١.خان امين باد-ايران، نموذج للفناء مثمن الشكل	٢.خان ابرك وخان خيرباي-حلب، نموذج للفناء المستطيل



٣.خان سوسة–تونس، نموذج للخانات المحصنة خارج المدن

٤.خان مرجان–العراق، نموذج للخانات ذات الفناء المسقوف

٥.وكالة الغوري– القاهرة، نموذج للخانات متعددة الطوابق

٦.خان شرف–إيران، نموذج للخانات متعدد الأفنية

ويمكن أن يكون الخان من النوع المغطى في بعض الحالات، كما هو الحال في تركيا والقوقاس والبلقان وفي العراق مثل خان مرجان (الجدول السابق). مع ان معظم خانات العراق مكشوفة الوسط وجاء طرزها أما على الطراز العراقي الذي يكنى ب«الصفوي»، والمتكون من إيوانات تضم حجرات محيطة «بالحوش» كما هي المدارس أو العتبات والمشاهد. أو النوع الذي استعمل الأعمدة الخشبية «الدلكات» في رفع الممر الفوقاني الذي يلج منه إلى الحجرات في الطابق العلوي والتي كان بناؤها من الآجر كما هو طراز العمارة العراقية. (ثويني، ٢٠٠٤، ص١)

٢.١.العناصر المكونة للخانات الاسلامية:

اختلفت العناصر المكونة للخانات باختلاف مواقعها، فهناك خانات أقيمت على طُرُق السّفر خارج المُدن المتباعدة، واخرى اقيمت داخل المدن والتّجمعات السكنية. كان النّوع الأوّل يُبنى في بادئ الأمر على منابع المياه ومجاري الأنهار؛ ويبتعد الواحد من الآخر مسيرة نهارٍ، أيّ ما يقارب الثلاثين كيلومترًا. وكان الخان يقدّم الخدمات للتّجار والرّحالة والمُسافرين كافةً، ويوفّر لهم الراحة ويجنّبهم مشقّة ومخاطر السّفر ليلاً. (محمد، ١٩٩٣، ص٢٧)

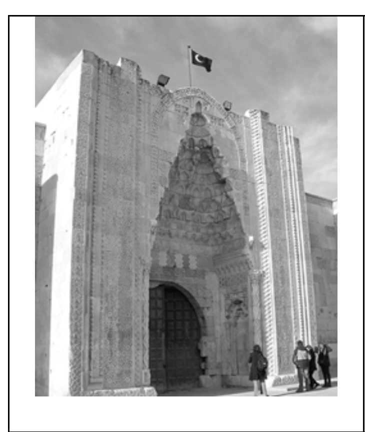
أمّا النّوع الثاني فكان خانات المُدن التي كانت تشترك مع خانات الطّرق في ما تقدّم من خدماتٍ؛ وتختلف عنها في أخرى، إضافةً إلى ما كان يمكن أن تقدّمه المدينة بشكلٍ أفضل لزوّارها، كالحمام والمسجد والمطعم وشغل البيطار وغير ذلك من الضّروريات والكماليات. وكما كانت خانات الطّرق تمثّل المحطّات الحسّاسة على مفارق الطّرق ومجاري المياه ومراكز الحدود، لذلك احتلّت خانات المُدُن مداخل المدن، خارج السّور أو داخله أيام السّلم وفي قلب الأسواق وجوار الحمام والمسجد. (محمد، ١٩٩٣، ص٢٩)

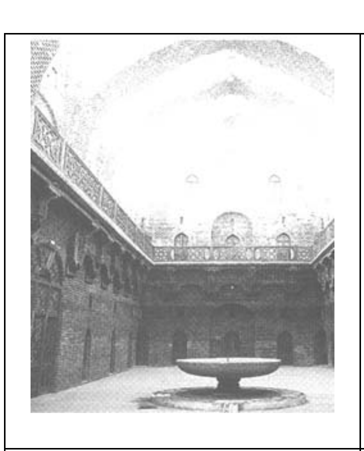
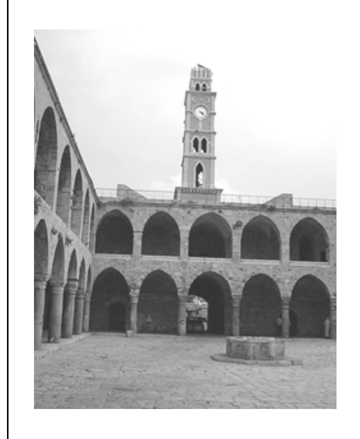
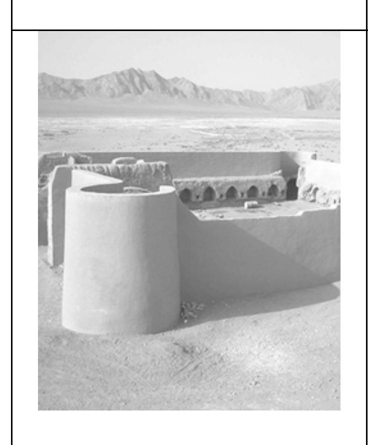
يضمّ الخان الكثير من الفراغات الأساسية المشتركة بين النوعين السابقين، فهناك مستودعات لحفظ البضائع، غرف لنوم النزلاء، إسطبلات مختلفة لإيواء العربات والحيوانات، وكانت الإسطبلات مجهزة بلوازم إصلاح المركبات ومعدات للعناية بالدواب ورعايتها. وإلى جانب تلك المرافق والخدمات، هناك الحوض في وسط الصحن ومشرب البهائم.

اما من حيث العناصر المعمارية كنسب الفتحات وشكل الفناء والمواد المستعملة في البناء، فقد كانت تختلف من بلد اسلامي لاخر لاختلاف المناخ والمواد المتوفرة وعدد السكان..الخ. مع

ذلك يمكن ايجاد قواسم مشتركة في الفراغات والعناصر المعمارية التي تميزت بها الخانات الاسلامية عبر التاريخ، كما يتضح في جدول رقم(١-٢).

جدول رقم(١-٢): العناصر المكونة للخانات الاسلامية (الباحث)

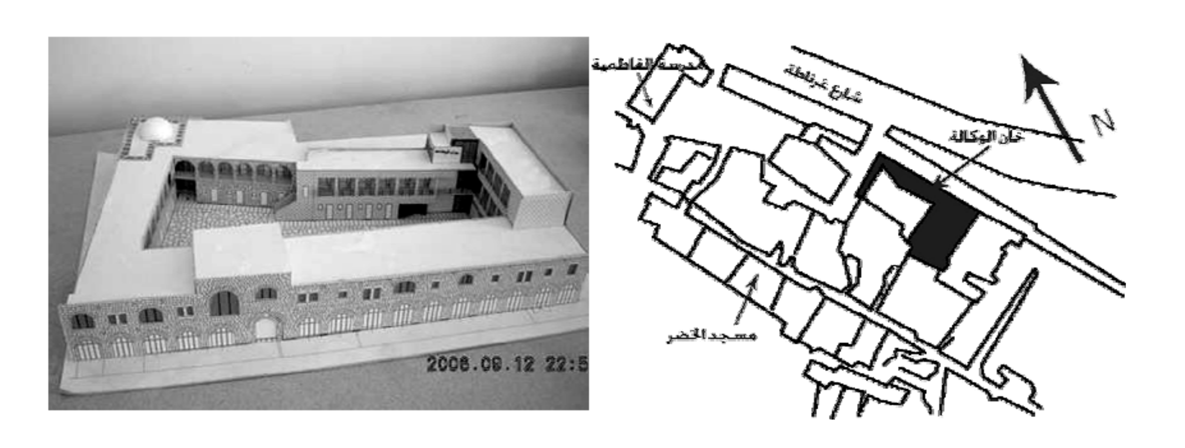
١. الواجهات المزينة بزخارف جميلة ومداخلها القوسية الضخمة التي كانت تغلق بواسطة مصرعي باب خشبي مصفح بالحديد والنحاس. يظهر في الشكل المجاور المدخل الرئيسي لاحد اضخم الخانات التركية، بناه السلطان السلجوقي علاء الدين عام ١٢٢٩ م. (الانترنت)	
٢. الحوانيت الخارجية التي تفتح على الشارع الخارجي، وهي محلات تجارية لعرض البضائع. يظهر في الشكل المجاور الواجهة الخارجية لاحد الخانات الاثرية الموجودة في ايران، تبين المدخل المزخرف والمحلات التجارية.(الانترنت)	
٣. فناء أوسط داخل الخان يتم إنزال البضائع به، حيث تميزت عمارة الخانات الاسلامية عبر مراحلها المختلفة بوجود الفناء المكشوف في الداخل، احيانا اكثرمن فناء خاصة في عمارة الخانات في منطقة ايران. اما في المناطق الباردة فكان يتم سقف هذا الفناء الداخلي مثل خان مرجان في بغداد. يظهر في الشكل المجاور لقطة في فناء احد الخانات التراثية في مدينة فاس-المغرب. (الانترنت)	

٤. مصادر المياه اللازمة للمنشأة، عادة شادروان في وسط الصحن. وبئر لحفظ الماء. يظهر في الشكل المجاور الفناء الداخلي المسقوف يتوسطه الشادروان في خان مرجان–العراق(الانترنت)	
٥. مخازن لتخزين البضائع، وتوجد داخل الخان مطلة على الفناء. تعلوها طوابق سكنية مخصصة لسكن التجار الأغراب، بغرض الإقامة بجوار بضائعهم، وكل طابق مكون من حجرة استقبال ومطبخ تعلوه غرفة للمعيشة. يظهر في الشكل المجاور الفناء الداخلي لاحد خانات مدينة عكا، ويظهر فيه المخازن في الطابق الارضي والغرف السكنية في الطابق الاول. (الانترنت)	
٦. مواد البناء التي استعملت في بناء الخانات مواد تغيّرت مع تغير الموقع. فقد تكون من طينٍ أو من قرميدٍ مشويّ أو نيء، في العراق وإيران ومصر، أو من حجارةٍ كلسيةٍ أو بازلتيّة في الشّام وتركيا. يظهر في الشكل المجاور خان قديم مبني من الطين، يبعد ٦٠ كم عن مدينة يازد–ايران. (الانترنت)	

٢.خان الوكالة:

يعتبر خان الوكالة واحدا من المعالم التاريخية الهامة والباقية في مدينة نابلس حتى الان، وهو عبارة عن مبنى اثري قديم يعود للفترة العثمانية ويقع في الجزء الغربي للمدينة القديمة بنابلس،

كان يستخدم كنزل للمسافرين وحيواناتهم ومقر للتجارة. كما ان المبنى استخدم كمقر للجيش في نهاية العهد العثماني.



شكل رقم(٢-١): تصور لخان الوكالة في مدينة نابلس بحالته الاصلية.(طلاب قسم العمارة-جامعة النجاح)

فقد المبنى العديد من اجزاءة في زلزال عام ١٩٢٧، فقد انهدم كامل الجانب الغربي من الجزء الجنوبي للفناء وجزءة الغربي وكان فيبها حوالي ١٥ حجرة. ثم في اجتياح القوات الإسرائيلية لمدينة نابلس عام ٢٠٠٢ تم هدم بوابة الخان بالكامل.

بعد ذلك قامت بلدية نابلس باستملاكه من "ال عرفات" وهم اخر عائلة امتلكت الخان من اجل ترميمه والإستفاده منه كمشروع تجاري يخدم مدينة نابلس (عاصي،٢٠٠٦، ص٣)، بعد أن حصلت على دعم مالي من الإتحاد الأوروبي عن طريق اليونسكو، وتم البدء بتنفيذ المشروع عام ٢٠٠٥ وهو مستمر حتى تاريخ إعداد هذا البحث.

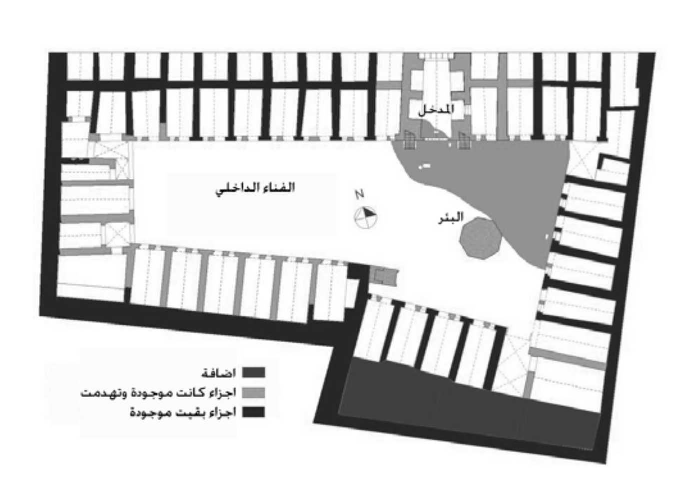
١.٢.الخصائص المعمارية لخان الوكالة:

يعمل الباحث في البنود القادمة من هذه الدراسة على دراسة وتحليل العناصر المعمارية والفراغية لمبنى خان الوكالة حسب المخطط الاصلي للمبنى -قبل زلزال ١٩٢٧-، والمتمثلة بالفناء

الداخلي، المصلى، الشادروان، المدخل، والغرف، ومقارنتها مع المقاييس العامة لبناء الخانات الإسلامية والتي تم التعرض لها في البنود السابقة، للخروج بنتائج وتوصيات الدراسة.

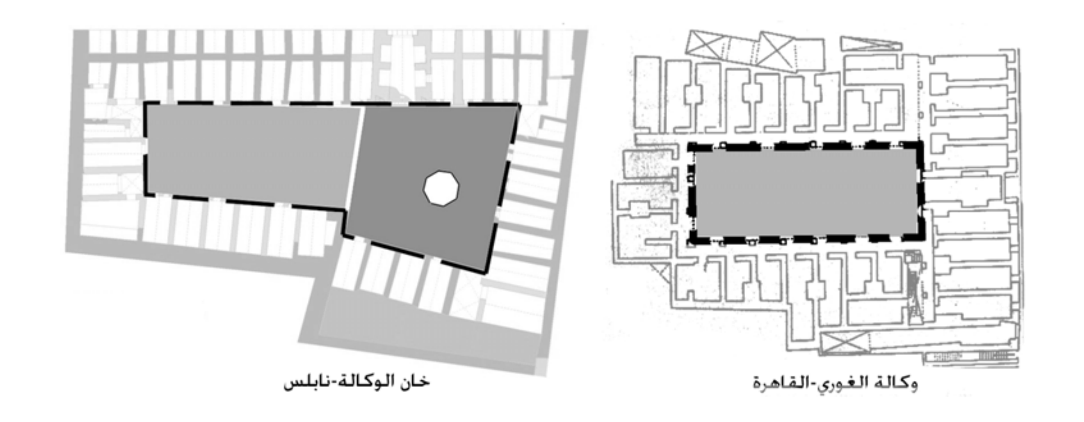
٢.١.١.الفناء الداخلي:

في خان الوكالة يلتف البناء حول فناء داخلى مضلع غير منتظم ويحتوي على ممرات معلقة تخدم الطوابق العلوية، وعدد كبير من الحجرات موزعة على طابقين في الجهه الشمالية، الشرقية، والجنوبية، وثلاثة طوابق في الجهة الغربية. تمثل الحجرات المطلة على الفناء الداخلي في شكل رقم(٢-٢) المدخل والغرف الداخلية التابعة للخان، في حين تمثل الغرف في اعلى الصورة المحلات التجارية التي تفتح على الشارع الرئيسي. يبلغ متوسط عرض الحجرة الواحدة ٢.٥ م وعمقها حوالي ٣ امتار كانت تستخدم للنوم في الطوابق العلوية اما السفلية فقد كانت تستخدم كأسطبلات واماكن لتخزين البضاعة.



شكل رقم(٢-٢) تصور لمخطط الطابق الأرضي لمبنى خان الوكالة قبل زلزال ١٩٢٧.(بلدية نابلس)

اخذ الفناء المكشوف في خان الوكالة شكلا غير منتظم؛ عبارة عن مركب من شكلي شبه منحرف شكل رقم(٢-٣)، الاول يميل الى التربيع ويفتح عليه المدخل والغرف الشرقية من المبنى. والاخر يقترب من الاستطالة وهو عبارة عن موزع للغرف الموجودة حوله لذلك يمتاز بقدر اكبر من الخصوصية من الاول، ليشكل تراكب الشكلين مع بعضهما الشكل النهائي للفناء، والذي يمثل شذوذا عن معاصريه من الخانات في الفترة العثمانية ذات الفناء المربع او المستطيل (كما سبق ذكره).



شكل رقم(2-3): تحليل لفناء خان الوكالة.(الباحث)

يعزي الباحث سبب هذا الشكل غير المعتاد للفناء في خان الوكالة الى عدة اسباب محتملة هي:



شكل رقم(2-4): انسجام خان الوكالة مع النسيج المحيط.(بلدية نابلس)

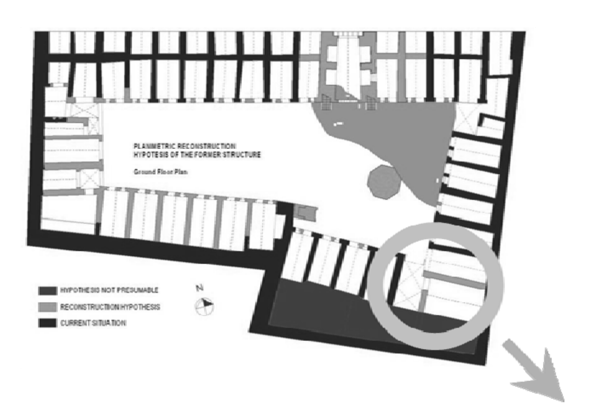
١. وجود مبنى الخان ضمن نسيج معماري وليس في منطقة فضاء، يجعل من الضروري لشكل المبنى ان يتماشى مع المحيط، وهذا ما يميز العمارة التقليدية في مدينة نابلس "التراكب والانسجام".

٢. قد يكون من الممكن المحافظة على شكل مستطيل منتظم في بناء الخان، لكن ذلك كان سيحدث فراغات داخلية للغرف غير متساوية وغير منتظمة وهذا غير معهود في عمارة الخانات.

٣. وجود الطريق المحاذي للواجهة الشمالية للخان والمائل بالاتجاه الشمالي الغربي قد لعب دورا هاما في تشكيل هذه المنطقة وبالتالي تشكيل الفناء الداخلي، لانه من المنطقي للمحلات التجارية التي تفتح الى الخارج ان تتبع اتجاه الطريق. شكل رقم(٢-٤)

٢.١.٢.المصلى:

من الممكن ان يكون خان الوكالة قد احتوى على مكان للصلاة لاستعمال النزلاء المقيمين فيه اسوة بمعظم الخانات التجارية الاخرى في العصر العثماني. وبما ان الكثير من اجزاء المبنى قد تعرضت للدمار في فترات سابقة، فان التاكيد في هذا الموضوع يحتاج الى دراسة اثرية على ارض الواقع.



شكل رقم(٢-٥): الجزء المفترض لوجود المصلى(الباحث)

لكن لو عدنا الى مخطط الطابق الارضي حسب التصور لما كان عليه المبنى اصلا قبل الدمار نجد ان الجهه التي يمكن ان يكون فيها المصلى-بحسب الفرضية التي تتبناها وحدة الترميم في بلدية نابلس- هي المنطقة الجنوبية وهي موجهة الى الجنوب الغربي وليس الى الجنوب الشرقي بحسب القبلة في تلك المنطقة. شكل رقم(٢-٥)، كذلك لا يرجح الباحث بان المساحة المشار اليها في الشكل السابق والموجودة في المنطقة الجنوبية الشرقية كانت عبارة عن مصلى في السابق للاسباب التالية:

١. تلك المنطقة لا تتجاوز مساحتها مجموع غرفتين من غرف الخان أي حوالى ٨متر مربع وهي مساحة قليلة نوعا ما بالنسبة لمصلى.

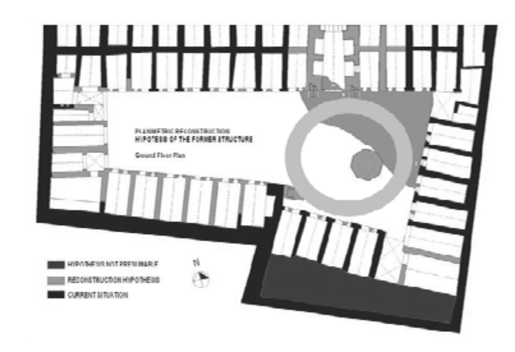
٢. بما انه من البديهي ان يكون الضلع الاطول في المستطيل هو حائط القبلة العمودي على اتجاهها نجد ان هذا الحائط موجه نحو الشرق مما يؤكد عكس الفرضية السابقة.

٣. تلك المنطقة كانت تشكل حلقة الوصل بين الصبانة التي تم هدمها من قبل قوات الاحتلال الاسرائيلي وبين الخان، ومن الممكن جدا ان تكون مدخل للخان من جهة الجنوب خاصة مع وجود الطريق التي تظهر في شكل رقم(٢-٤) محاذية للجدار الجنوبي لخان الوكالة والتي كانت تستعمل في السابق لمرور الناس بين البيوت وصولا الى الخان والصبانة.

٤. من المفترض حسب التصور للمجسم الذي كان عليه خان الوكالة في السابق شكل رقم (٢-١) ان المنطقة المذكورة مسقفة بقبة مما يميزها عن الغرف الملاصقة بها، حتى ولو سلمنا بهذا الافتراض فانه يدعم كون هذه المنطقة مدخل فرعي للخان، حيث تكرر استخدام القبة في العمارة العثمانية فوق المداخل.

٣.١.٢.الشادروان:

يعتبر الشادروان أو (نافورة الماء) الخاصة بالوضوء احد المكونات الأساسية في بناء الخانات، وعادة ما توجد في مركز الفناء المكشوف او المغطى الخاص بالخان، كمثال على ذلك يظهر في جدول رقم(١-٢) شادروان خان مرجان في بغداد.



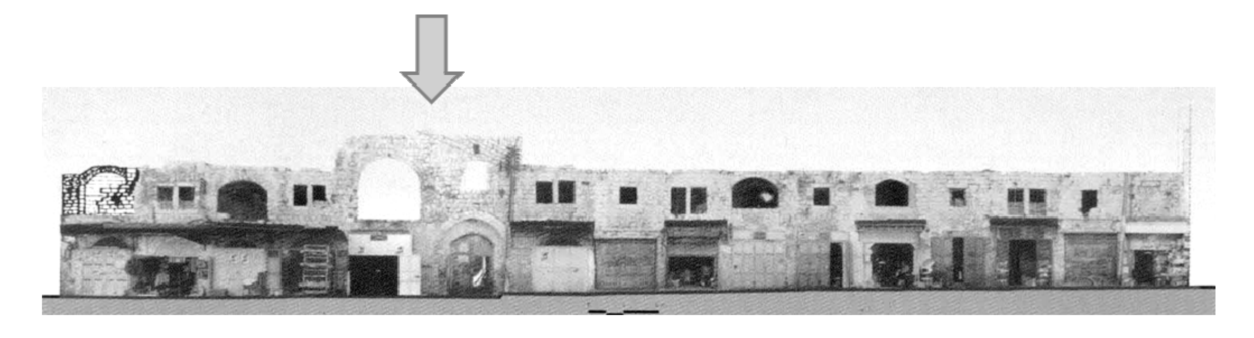
شكل رقم(٢-٦): الجزء المفترض لوجود الشادروان (الباحث)

اما في خان الوكالة فمن غير المؤكد بصورة قطعية المكان الاصلي للشادروان، لكن لو نظرنا الى المخططات السابقة للخان شكل رقم(٢-٦) نجد ان مكان البئر الموجود في خان الوكالة وهو حسب توقعات بلدية نابلس التي قامت بانشاء تلك المخططات يقع في المنطقة الشرقية الوسطى

من الفناء، هذا يرجح ان الشادروان او بركة الماء الخاصة بالوضوء، كانت تقع في تلك المنطقة بالقرب من البئر وهذا حسب المقاييس المعهودة في بناء الخانات.(محاضرة عن المدن الإسلامية، رطروط، ٢٠٠٧).

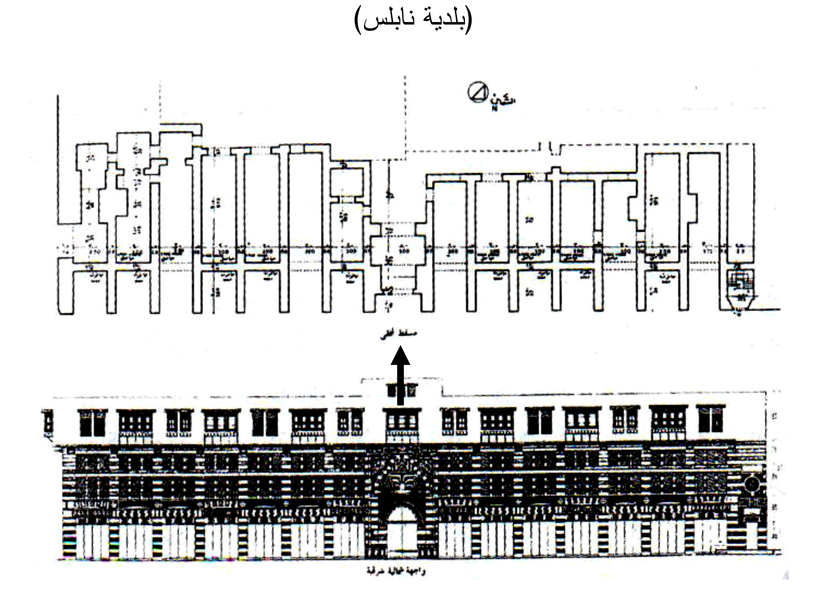
٤.١.٢.المدخل:

كان مدخل خان الوكالة –المهدوم حاليا– يقع على الشارع الذي تمتد على طولة ١٥ دكان تتماثل في عرضها مع الحجرات المطلة على الفناء لكنها اقل عمقا وجميع الحجرات مسقوفة بقباب حجرية كاملة العقد. شكل رقم(٢–٧)



شكل رقم(٢–٧): الواجهة الشمالية لخان الوكالة يظهر فيها مدخل الخان المهدوم حاليا والذي يرتفع بارتفاع طابقين.

(بلدية نابلس)

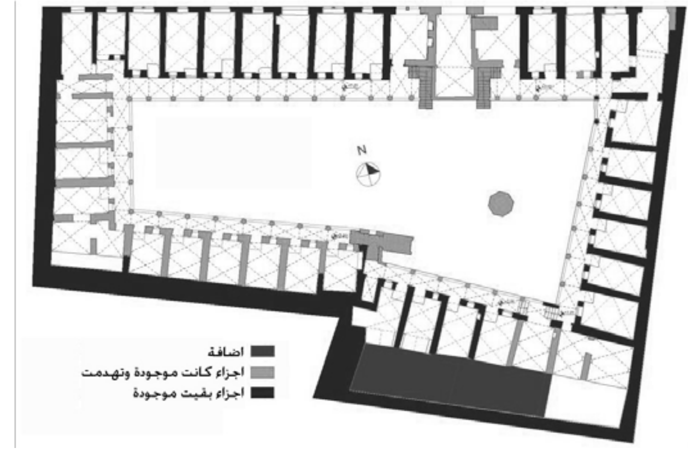


شكل رقم(٢–٨): وكالة السلطان قايتباي–القاهرة

بالنظر الى الواجهة الرئيسية للخان شكل رقم(٢–٧) نجد ان موقع البوابة لم يتوسط الواجهة ربما لينسجم مع التصميم للفناء الداخلي الذي تم تناوله سابقا. اما في معظم عمارة الخانات التي تميل بصفة عامة في تخطيطها الى السيميترية (التماثل)، فكان المدخل يبنى غالبا في وسط الواجهة الرئيسية.شكل رقم(٢–٨).

٢.١.٥.الغرف:

بنيت غرف الخانات في السابق بطريقتين، اما غرف فردية صغيرة الحجم تشبه غرف خان الوكالة، او غرف بها مساطب كبيرة تستقبل عدد اكبر من الاشخاص وهي للفقراء من المسافرين.

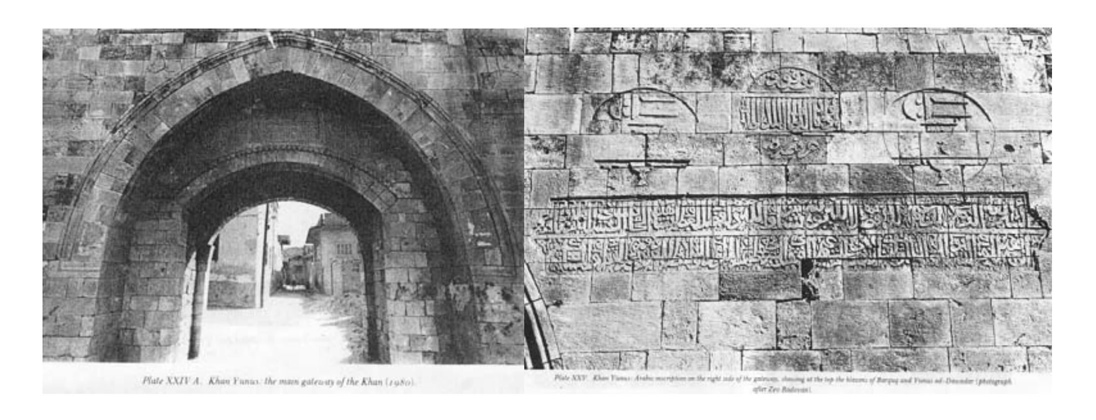


شكل رقم(٢-٩) تصور لمخطط الطابق الأول لمبنى خان الوكالة قبل زلزال ١٩٢٧.(بلدية نابلس)

يبلغ عدد غرف خان الوكالة حاليا ٣٥ غرفة، لكل غرفة فتحة مدخل معقودة ويغطيها اما قبو برميلي او عقد متقاطع، اما الطابق الثاني فنصل اليه عبر سلمين حجريين من داخل الفناء المكشوف كانا يقعان على جانبي المدخل المؤدي للخان من جهة الشمال حيث يوجد ممر علوي مكشوف في كل من الجهة الشمالية والشرقية ويصل مجموع الغرف في الطابق الثاني الى ٤٠. غرفة شكل رقم(٢–٩).

بعد ان تناول الباحث اهم الخصائص المعمارية لمبنى خان الوكالة، تجدر الاشارة هنا ان بعض العناصر الجمالية الاخرى والتي وجدت بكثرة في الخانات الاسلامية التي تناولها الباحث في هذه الدراسة، مثل الزخارف والمقرنصات فوق المداخل والفتحات–انظر ص٨– ، تكاد ان تكون معدومة في خان الوكالة الا من اشكال زخرفية بسيطة كانت موجودة فوق المدخل المهدوم حاليا. قد

يتضح قلة احتواء خان الوكالة على الزخارف لو قورن ببعض خانات فلسطين الاخرى ، كخان يونس مثلا. شكل(٢-١٠).



شكل رقم(٢-١٠) صورة توضح زخارف الواجهات الخارجية، والمدخل الرئيسي لخان يونس في غزة (الانترنت)

٢.٢.النتائج:

ان مبنى خان الوكالة الذي يمثل احد المعالم التاريخية الهامة في مدينة نابلس، -وهو ايضا واحد من الامثلة القليلة الباقية على عمارة الخانات في فلسطين- لم يحظى بما يستحق من الدراسات التاريخية والمعمارية والاثرية، فالكثير من المعلومات التي تلزم الباحثين مثل تاريخ بناؤة وانشاؤه، نوع البناء الذي كان مبنيا في تلك المنطقة قبل بناء خان الوكالة وغيره الكثير من الاسئلة ليست لها اجابات مؤكدة، ونظرا لذلك النقص في المعلومات كان من الضروري للباحث ان يلجأ الى منهجية المقارنة مع الخانات الاخرى المشهورة في منطقة الشام والعراق ومصر، والرجوع الى المقاييس العامة في بناء الخانات من اجل التوصل الى عدة نتائج تتعلق ببناء خان الوكالة اهمها:

١) يشابه بناء خان الوكالة المعايير القياسية في بناء الخانات في عدة اشياء اهمها الغرف، عدد الطوابق، طريقة التسقيف، ويخالفها في عدة اشياء اساسية اهمها شكل الفناء، موقع الشادروان، شكل وموقع المدخل الرئيسي، وهذا لم يسبق مشاهدته في الخانات الاسلامية

التي اجريت علها هذه الدراسة، مما يجعلنا نعتقد بان مبنى خان الوكالة قد تم بناؤة على مراحل ولم يصمم اصلا من اجل وظيفة الخان.

٢) احتوى خان الوكالة على الامور الاساسية التي تمتعت بها الخانات في العصر العثماني كغرف النزلاء، غرف البهائم، الساحة، البوابة.. ولكن لم يلحق به الكثير من الخدمات كالحمام والمصلى نظرا لوجوده بالقرب من خدمات المدينة.

٣) تاثر شكل خان الوكالة وبالتالي شكل الفناء الداخلى الخاص به بوجوده ضمن نسيج تقليدي متكامل في مدينة نابلس القديمة يتسم بالتراكب والانسجام.

٤) يتضح ان هذا الخان قد بني اصلا حسب النوع الثاني للخانات -التي سبق ذكرها- وهي الخانات التي بنيت داخل المدن وذلك للاسباب التالية:

أ- عدم وجود الحصون والاسوار مما يدل ان المبنى كان ضمن حدود المدينة القديمة على الاقل في العصر العثماني، فقد اشتهرت الخانات على الطرق بين المدن بتمتعها بالوسائل الدفاعية للحيلولة دون تعرضها للسلب والنهب، يتضح ذلك في خانات منطقة المغرب العربي التى كانت تشبه القلاع ويطلق عليها اسم رباط. مثل رباط سوسة -جدول رقم(١-١)- الذي استعمل كغيره من الخانات المبنية خارج المدن كثكنة عسكرية ونقطة انطلاق للفتوحات الاسلامية -خاصة فتح صيقلية- (Sims, 1978, p.102)

ب- انفتاح المحلات التجارية الى الخارج في خان الوكالة، وهذا يميز الخانات داخل المدن عن غيرها، فلم يكن من التخطيط المتعارف عليه للخانات خارج المدن ان وجدت المحال التجارية الخارجية بهذه الصورة، لعدة اسباب اهمها عدم وجود المتسوقين باعداد تماثل تلك التي في داخل المدن، كذلك الخوف من فتح تلك

المحلات الى الخارج من امكانية تعرضها للسرقة والنهب لوجودها في مناطق نائية. لذا وجد في الخانات خارج المدن محل تجاري واحد يشتري منه التجار المسافرين ما يحتاجونه هم ومن يرافقهم من خدم او دواب، بجوار هذا المحل التجاري عادة ما يوجد مصدر ماء خارجي للعامة حسب وصف ابن بطوطة للخانات التي بنيت بعد القرن الرابع عشر الميلادي في منطقة الشام. (Sims, 1978, p.101)

ت- عدم وجود الخدمات الملحقة بخان الوكالة مثل المسجد والحمام، يؤكد الظن بانه قد بني اصلا في حدود مدينة نابلس القديمة، لقربه من الحمامات والمساجد التي لا تبعد الكثير من الامتار عن موقع الخان، وهذا كان متعارفا عليه في معظم خانات العثمانيين التي تقع داخل المدن.

اذا كان خان الوكالة قد بني اصلا داخل مدينة نابلس لانه يتبع لمقاييس الخانات الاسلامية داخل المدن، وكذلك شكل الفناء غير المنتظم يؤشر الى وجود انقاض لبناء سابق في نفس المكان، لذا قـــد تكون هذه الدراسة مقدمة لدراسات مستقبلية تقوم على اثبات فرضية مفادها: ان حدود مدينة نابلس الرومانية كانت تمتد إلى منطقة خان الوكالة. ويكون تدعيم هذه الفرضية بدراسة نتائج الحفريـــات الاثرية التي اقامتها وزارة السياحة والاثار الفلسطينية، ومركز علوم الارض وهندسة الزلازل التابع لجامعة النجاح الوطنية في الموقع.

***

المراجع

١. المراجع الاجنبية:

1. Hillenbrand, Robert. (1994). Islamic architecture. Columbia University Press. New York. USA.
2. Sims, Eleanor and others. (1978).Architecture of the Islamic world. 1st pbk. ed. Edited by George Michell. Thames and Hudson. London. UK.
3. Clermont, Ganneau. (1896). Archaeological researches in Palestine during the years 1873-1874. Committee of the Palestine Exploration Fund. London. UK.

٢. المراجع العربية:

١. محمد، رفعت. (١٩٩٣). الوكالات والبيوت الاسلامية في مصر العثمانية. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. مصر.

٢. النمر، احسان. (١٩٧٥). تاريخ جبل نابلس والبلقاء. مطبعة جمعية عمال المطابع. نابلس. فلسطين.

٣. الصحف:

١. ثويني، علي. (٢٠٠٤)." الخانات في العمارة العراقية". جريدة الوفاق:٢٢١٠/٣ كانون ثاني،١. طهران. ايران.

٢. عبد الحميد، محمد. (٢٠٠١). "وكالة بازرعة تحفة للعمارة التجارية فى العصر العثمانى". بيان الثقافة:٧١/ ٢٠ ايار ،٥. القاهرة. مصر.

٤. المحاضرات والمناقشات الشفوية:

رطروط، د.هيثم. جامعة النجاح الوطنية. نابلس: حزيران ٢٠٠٧.

٥. الابحاث المنشورة:

Abu Khalaf, Marwan. (1982). “Khan Yunus and the khans of Palestine”. Levant: volume(xv),1:178-186

٦. الابحاث غير المنشورة:

عاصي، امل واخرون. (٢٠٠٦). "تاريخ بناء خان الوكالة"، بحث غير منشور. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.